◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ مُحَقِّقًا مَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ لِوَلِيِّ أَمْرِكَ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ النَّجَاة، وَأَمَّا الطَّرَائِقُ القَائِمَةُ عَلَى الافْتِيَاتِ عَلَى وُلَّاةِ الأَمْرِ وَالخُرُوجِ عَنْ الجَمَاعَةِ وَنَزْعِ اليَدِ مِنَ الطَّاعَةِ فَإِنَّهَا لَا تُفْضِي بِأَهْلِهَا إِلَّا إِلَى الشُّرُورِ وَالهَلَكَةِ[10].

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَعْمَلَ فِي أَيَّامِكَ وَلَيَالِيكَ عَلَى تَحْصِينِ نَفْسِكَ بِذِكْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنْ تَكُونَ مُوَاظِبًا عَلَى الأَذْكَارِ المُوَظَّفَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ وَأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ وَالدُّخُولِ وَالخُرُوجِ وَالرُّكُوبِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ ذِكْرَ اللهِ عز وجل عِصْمَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَمَنَةٌ لِصَاحِبِهِ مِنَ الضُّرِّ وَالبَلَاءِ[11].

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ يَكُونَ لَكَ وِرْدٌ يَوْمِيٌّ مَعَ كِتَابِ اللهِ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ؛ فَإِنَّ كِتَابَ اللهِ عز وجل طُمَأْنِينَةٌ لِلْقُلُوبِ وَسَعَادَةٌ لَهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ][12].

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تُكْثِرَ مِنْ دُعَاءِ اللهِ عز وجل أَنْ يُثَبِّتَكَ عَلَى الحَقِّ وَالهُدَى وَأَنْ يُعِيذَكَ مِنَ الشَّرِّ وَالرَّدَى، فَإِنَّ الدُّعَاءَ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[13].

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ حَرِيصًا عَلَى مُرَافَقَةِ الأَخْيَارِ وَمُصَاحَبَةِ الأَبْرَارِ، وَأَنْ تَجْتَنِبَ أَهْلَ الشَّرِّ وَالفَسَادِ؛ فَإِنَّ فِي صُحْبَةِ أَهْلِ الشَّرِّ العَطَبَ[14].

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ مِنْ هَذِهِ الوَسَائِلِ الَّتِي غُزِيَ الشَّبَابُ مِنْ خِلَالِهَا وَلَا سِيمَا شَبَكَةَ المَعْلُومَاتِ لِيَسْلَمَ لَكَ دِينُكَ وَلِتَكُونَ فِي عَافِيَةٍ مِنْ أَمْرِكَ، وَالعَافِيَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ[15].

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ عَلَى ذِكْرٍ دَائِمًا أَنَّكَ سَتَقِفُ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَيَسْأَلُكَ فِيهِ عَنْ هَذَا الشَّبَابِ فِيمَا أَمْضَيْتَهُ وَأَفْنَيْتَهُ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [سُورَةُ الطُّورِ].

وَأَسْأَلُ اللهَ عز وجل أَنْ يَحْفَظَكَ بِمَا يَحْفَظُ بِهِ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ.[16]

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كَتَبَهَا

عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ المُحْسِنِ البَدْر

وَالخُلُقَ الرَّفِيعَ، لَكِنْ مَنْ مَضَتْ حَيَاتُهُ وَانْصَرَمَتْ زَهْرَةُ شَبَابِهِ وَهُوَ مَفْتُونٌ بِمُطَالَعَةِ أَخْبَارِ اللَّاعِبِينَ وَالفَنَّانِينَ، وَأَشْبَاهَ أُولَئِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى هَذِهِ الأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ النَّبِيلَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا سَلَفُنَا الصَّالِحُ الرَّعِيلُ الأَوَّلُ المُبَارَكُ» «حُقُوقُ كِبَارِ السِّنِّ» ضِمْنَ «سِلْسِلَةِ رَسَائِلِ الفَضِيلَةِ» (ص٣٩٥)، وَانْظُرْ كَذَلِكَ مَقَالًا لِشَيْخِنَا بِعُنْوَانِ (الرُّجُوعِ إِلَى العُلَمَاءِ فِي النَّوَازِلِ) ضِمْنَ «الفَوَائِدِ المَنْثُورَةِ» (ص٧٣).

١٠. «وَإِنَّ مِنْ نَهْجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ وَسَبِيلَهُمْ مَعَ وُلَّاةِ أَمْرِهِمْ: أَنَّهُمْ يَرَوْنَ وُجُوبَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ فِي المَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَإِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ، فَإِنْ أَمَرُوا بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَلَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ، وَيَنْصَحُونَ لَهُمْ، وَلَا يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ بَلْ يَدْعُونَ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالمُعَافَاةِ، وَلَا يَرَوْنَ جَوَازَ الخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَلَا قِتَالَهُمْ وَلَا نَزْعَ يَدِ الطَّاعَةِ مِنْهُمْ، وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا، بَلْ يَعُدُّونَ ذَلِكَ مِنَ البِدَعِ المُحْدَثَةِ» مِنْ كَلَامِ شَيْخِنَا فِي تَحْقِيقِهِ لِـ«قَاعِدَةٍ مُخْتَصَرَةٍ فِي وُجُوبِ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَوُلَّاةِ الأُمُورِ» (ص٨).

وَهَذِهِ الطَّرَائِقُ القَائِمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ إِنَّمَا هُمْ طُلَّابُ دُنْيَا فَحَسْب كَمَا كَانَ أَسْلَافُهُمْ، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: «أَوَّلُ بِدْعَةٍ وَقَعَتْ فِي الإِسْلَامِ فِتْنَةُ الخَوَارِجِ، **وَكَانَ مَبْدَؤُهُمْ بِسَبَبِ الدُّنْيَا**» «تَفْسِيرُهُ» (٢/ ١٠)، وَمَصِيرُهُمْ دَوْمًا إِلَى زَوَالٍ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ**» رَوَاهُ أَحْمَد (٦٨٧١)، وَابْنُ مَاجَه (١٧٤)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَه» (١٤٤).

١١. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا... وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٨٦٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ الجَامِعِ» (١٧٢٤)، وَلِشَيْخِنَا عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ عَبْدِ المُحْسِنِ البَدْرِ حَفِظَهُ اللهُ كِتَابٌ صَغِيرُ الحَجْمِ كَبِيرُ النَّفْعِ بِعُنْوَانِ «كِتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» جَمَعَ فِيهِ الأَذْكَارَ النَّبَوِيَّةَ وَالأَدْعِيَةَ المَأْثُورَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ.

١٢. وَهَذِهِ نَصِيحَةٌ فِي غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ، وَفِي المُقَابِلِ فَلْيَحْذَرْ المُسْلِمُ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالتَّقْصِيرِ فِي تِلَاوَةِ القُرْآنِ (أَيْ: هَجْرِهِ) فِي يَوْمِهِ وَلَيْلِهِ خَاصَّةً إِذَا كَانَ يَبْحَثُ عَنْ صَلَاحِ قَلْبِهِ وَتَحْسِينِ عَلَاقَتِهِ بِرَبِّهِ، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رحمه الله: «وَبِالجُمْلَةِ فَلَا شَيْءَ أَنْفَعَ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ فَإِنَّهُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَأَحْوَالِ العَامِلِينَ، وَمَقَامَاتِ العَارِفِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ المَحَبَّةَ وَالشَّوْقَ وَالخَوْفَ وَالرَّجَاءَ وَالإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيضَ وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ وَسَائِرَ الأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ القَلْبِ وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ المَذْمُومَةِ وَالَّتِي بِهَا فَسَادُ القَلْبِ وَهَلَاكُهُ، **فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ لَاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا**» «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ١٨٧).

١٣. لَمَّا سُئِلَتْ أُمُّنَا أُمُّ سَلَمَة رضي الله عنها عَنْ أَكْثَرِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَهَا فَقَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، قَالَتْ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٣٥٢٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيحِ التِّرْمِذِي» (٢٧٩٢).

١٤. وَكَمَا يُقَالُ: (الصَّاحِبُ سَاحِبٌ)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُد (٤٨٣٣)، وَالتِّرْمِذِي (٢٣٧٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ» (٩٢٧).

شَرْحُ الحَدِيثِ: «قَوْلُهُ (الرَّجُلُ) يَعْنِي الإِنْسَانَ (عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ) أَيْ عَلَى عَادَةِ صَاحِبِهِ وَطَرِيقَتِهِ وَسِيرَتِهِ (فَلْيَنْظُرْ) أَيْ: فَلْيَتَأَمَّلْ وَلْيَتَدَبَّرْ (مَنْ يُخَالِلُ) مِنَ المُخَالَّةِ وَهِيَ المُصَادَقَةُ وَالإِخَاءُ فَمَنْ رَضِيَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ خَالَلَهُ وَمَنْ لَا تَجَنَّبَهُ فَإِنَّ الطِّبَاعَ سَرَّاقَةٌ وَالصُّحْبَةُ مُؤَثِّرَةٌ فِي إِصْلَاحِ الحَالِ وَإِفْسَادِهِ» «تُحْفَةُ الأَحْوَذِي» (٧/ ٤٢).

١٥. مَا ظَهَرَ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ المُتَأَخِّرَةِ مِنْ شَبَكَاتِ المَعْلُومَاتِ وَالقَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ يَكْمُنُ خَطَرُهَا فِي فِتْنَتَيْ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ (إِذَا لَمْ تُسْتَغَلْ فِيمَا يَنْفَعُ)، «قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْغَتَانِ: إِمَّا إِلَى تَفْرِيطٍ وَتَقْصِيرٍ، وَإِمَّا إِلَى مُجَاوَزَةٍ وَغُلُوٍّ؛ وَلَا يُبَالِي بِأَيِّهِمَا ظَفَرَ» «إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ» (١/ ١١٦).

١٦. أَخِي الحَبِيبُ: خُذْ بِهَذِهِ النَّصَائِحِ الثَّمِينَةِ النَّافِعَةِ فِي طَرِيقِكَ إِلَى اللهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَهِيَ كَمَا قَالَ شَيْخُنَا: «إِنْ أَخَذْتَ بِهَا كَانَتْ مُوجِبَةً لِنَجَاتِكَ وَسَبَبًا لِفَلَاحِكَ وَسَعَادَتِكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ».

وَرَحِمَ اللهُ الحَسَنَ البَصْرِيَّ لَمَّا قَالَ: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيْسَ بِالتَّحَلِّي، وَلَا بِالتَّمَنِّي، إِنَّمَا الإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ **وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ**» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣٠٩٨٨)، وَالبَيْهَقِي فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» (٦٦).

«وَقَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ غفر الله لهم: إِنَّ لِلْبَاقِي بِالمَاضِي مُعْتَبَرًا، وَلِلْآخِرِ بِالأَوَّلِ مُزْدَجَرًا، وَالسَّعِيدُ مَنْ لَا يَغْتَرُّ بِالطَّمَعِ، وَلَا يَرْكَنُ إِلَى الخُدَعِ، وَمَنْ ذَكَرَ المَنِيَّةَ نَسِيَ الأُمْنِيَّةَ، وَمَنْ أَطَالَ الأَمَلَ نَسِيَ العَمَلَ، وَغَفَلَ عَنْ الأَجَلِ» «الجَامِعُ لِأَحْكَامِ القُرْآنِ» (١٧/ ٢٤٧).

اعْتَنَى بِهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا

أَبُو عَبْدِ العَزِيزِ مُنِير الجَزَائِرِي

abou-abdelaziz@hotmail.fr

وَصَايَا لِلشَّبَاب

إِعْدَاد

عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ عَبْدِ المُحْسِنِ البَدْر

اعْتَنَى بِهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا

أَبُو عَبْدِ العَزِيزِ مُنِير الجَزَائِرِي

دَارُ الفُرْقَانِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسَانَ أَطْوَارًا وَفَضَّلَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خلَقَ تَفْضِيلاً، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه؛ أَعَدَّ الجَنَّةَ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَا يَبْغُونَ عَنْهَا تَحْوِيلاً وَلَا يَرْضَوْنَ بِسِوَاهَا بَدِيلاً، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وخَلِيلُهُ، اصْطَفَاهُ رَبُّهُ فَأَقَامَ بِهِ المِلَّةَ وَكَمَّلَ بِهِ الأَخْلَاقَ تَكْمِيلاً، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَسَامَوْا إِلَى العُلَا شَبَابًا وَكُهُولاً، وَصَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ومِنْهم مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلَا يَخْفَى أَنَّ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ مَرْحَلَةٌ مُهِمَّةٌ جِدًّا فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ؛ لِأَنَّهَا مَرْحَلَةُ القُوَّةِ وَالنَّشَاط، وَسُهُولَةُ الحَرَكَةِ، وَقُوَّةُ الأَعْضَاءِ، وَسَلَامَةُ الحَوَاس، بَيْنَمَا إِذَا كَبُرَ الإِنْسَانُ تَضْعُفُ مِنْهُ حَوَاسُهُ وَقِوَاهُ.

وَقَدْ أَوْلَى الإِسْلَامُ هَذِهِ المَرْحَلَةَ اهْتِمَامًا خَاصًّا، وَرِعَايَةً عَظِيمَةً، وَجَاءَتْ النُّصُوصُ مُؤَكِّدَةً عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ المَرْحَلَةِ وَأَهَمِّيَّتِهَا، فَقَدْ حَثَّ نَبِيُّنَا ﷺ عَلَى المُبَادَرَةِ عَلَى اغْتِنَامِهَا، وَالحَذَرِ مِنْ إِضَاعَتِهَا.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»[1].

فَمَرْحَلَةُ الشَّبَابِ دَاخِلَةٌ فِي عُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: «**وَحَيَاتَكَ**

١. أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَك» (٧٨٤٦)، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِي، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (١٠٧٧).

قَبْلَ مَوْتِكَ»؛ لَكِنَّهُ ﷺ خَصَّ هَذِهِ المَرْحَلَةَ بِالذِّكْرِ لِعِظَمِ أَهَمِّيَّتِهَا وَكَبِيرِ شَأْنِهَا، فَيَنْبَغِي التَّيَقُّظِ لِذَلِكَ وَعَدَمِ التَّهَاوُنِ بِهَا.

وَعَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»[2].

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ المَرْءَ يُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ حَيَاتِهِ بِسُؤَالَيْنِ:

الأَوَّلُ: عَنْ حَيَاتِهِ عُمُومًا، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

الثَّانِي: عَنْ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ خُصُوصًا، مَعَ أَنَّهُ إِذَا سُئِلَ عَنْ حَيَاتِهِ فَإِنَّ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ دَاخِلَةٌ فِيهَا؛ لَكِنَّهُ يُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْهَا سُؤَالًا خَاصًّا.

وَلِهَذَا يَنْبَغِي عَلَى الشَّابِ أَنْ يَنْتَبِهَ لِأَهَمِّيَّةِ هَذِهِ المَرْحَلَة، وَيَتَذَكَّرُ دَائِمًا أَنَّ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ سَيَسْأَلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَاذَا عَمِلَ فِيهَا، إِضَافَةً إِلَى السُّؤَالِ عَنْ عَمَلِهِ فِي عُمْرِهِ كُلِّهِ المُتَضَمِّنِ لِمَرْحَلَةِ الشَّبَابِ؛ لِأَنَّهَا مَرْحَلَةُ القُوَّةِ وَالنَّشَاطِ، وَيُسْرِ الحَرَكَةِ، وَقُوَّةِ الأَعْضَاءِ وَاكْتِمَالِ الحَوَاس.

وَلِهَذَا حَثَّ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام الشَّبَابَ - كَمَا فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ - عَلَى اغْتِنَامِ هَذِهِ المَرْحَلَةِ، اغْتِنَامًا عَظِيمًا.

وَأَوْصَى عليه الصلاة والسلام أَيْضًا أَهْلَ العِلْمِ وَالمُعْتَنِينَ بِالتَّرْبِيَةِ وَالدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ بِالشَّبَابِ؛ لِأَنَّ الشَّابَ يَحْتَاجُ

٢. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي (٢٤١٦)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «السِّلْسِلَةَ الصَّحِيحَة» (٩٤٦).

إِلَى عِنَايَةٍ وَمُلَاطَفَةٍ، وَرِفْقٍ وَتَوَدُّدٍ، وَتَحْبِيبٍ لَهُ فِي الخَيْرِ وَأَهْلِهِ، حَتَّى لَا يَتَخَطَّفَهُ أَهْلُ البَاطِلِ وَأَرْبَابُ المُحَرَّمَاتِ.

وَلِهَذَا حَرِصَ الصَّحَابَةُ ﵃ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ المَعَانِي الجَلِيلَة كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى الشَّبَابَ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ أَوْصَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُوَسِّعَ لَكُمْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَنْ نُفَهِّمَكُمُ الْحَدِيثَ فَإِنَّكُمْ خُلُوفُنَا، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ بَعْدَنَا**»، وَكَانَ يُقْبِلُ عَلَى الشَّابِّ فَيَقُولُ لَهُ: «يَا ابْنَ أَخِي؛ إِذَا شَكَكْتَ فِي شَيْءٍ فَسَلْنِي حَتَّى تَسْتَيْقِنَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَنْصَرِفْ عَلَى الْيَقِينِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَنْصَرِفَ عَلَى الشَّكِّ»[3].

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﵁ إِذَا رَأَى الشَّبَابَ يَطْلُبُونَ العِلْمَ قَالَ: «**مَرْحَبًا بِيَنَابِيعِ الحِكْمَةِ وَمَصَابِيحِ الظُّلَمِ، خُلْقَانِ الثِّيَابِ، جُدُدِ القُلُوبِ، حُبُسِ البُيُوتِ، رَيْحَانِ كُلِّ قَبِيلَةٍ**»[4].

وَوَصَايَا السَّلَفِ رَحِمَهُمْ اللهُ لِلْشَّبَابِ وَعِنَايَتِهِمْ بِهَذِهِ المَرْحَلَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا[5]؛ وَهَذِهِ وَصَايَا أَنْصَحُكَ بِهَا نَصِيحَةَ مُحِبٍّ مُشْفِقٍ؛ إِنْ أَخَذْتَ بِهَا كَانَتْ مُوجِبَةً لِنَجَاتِكَ وَسَبَبًا لِفَلَاحِكَ وَسَعَادَتِكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ:

◂ عَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَعْمَلَ عَلَى صِيَانَةِ شَبَابِكَ وَحِفْظِهِ بِأَنْ تَتَجَنَّبَ الشُّرُورَ وَالفَسَادَ بِأَنْوَاعِهِ مُسْتَعِينًا فِي ذَلِكَ بِاللهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ جَلَّ فِي عُلَاه، وَكُلَّ بَابٍ أَوْ مُدْخَلٍ أَوْ طَرِيقٍ يُفْضِي بِكَ إِلَى شَرٍّ أَوْ فَسَادٍ فَاجْتَنِبْهُ

٣. أَخْرَجَهُ البَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِهِ «شُعَب الإِيمَان» (١٦١٠).

٤. أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «جَامِع بَيَان العِلْم وَفَضْله» (٢٥٦).

٥. «مِنْ وَصَايَا السَّلَفِ لِلْشَّبَاب» (ص١-٥) لِشَيْخِنَا عَبْد الرَّزَّاق بَنْ عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَه الله.

وَاحْذَرْهُ غَايَةَ الحَذَرِ[6].

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ مُحَافِظًا تَمَامَ المُحَافَظَةِ عَلَى فَرَائِضِ الإِسْلَام وَوَاجِبَاتِ الدِّينِ وَلَاسِيَمَا الصَّلَاة، فَإِنَّ الصَّلَاة عِصْمَةٌ لَكَ مِنَ الشَّرِّ وَأَمَنَةٌ لَكَ مِنَ البَاطِل، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَعُونَةٌ عَلَى الخَيْرِ وَمُزْدَجَرٌ عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَبَاطِلٍ[7].

٦. وَمِنْ أَعْظَمِ الأَبْوَابِ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ عَلَى العَبْدِ لِيُوقِعَهُ فِي الشُّرُورِ وَالفَسَادِ: فُضُول الكَلَام وَالنَّظَر، قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّم ﵀: «وَأَكْثَرُ المَعَاصِي إِنَّمَا تَوَلُّدُهَا مِنْ فُضُولِ الكَلَامِ وَالنَّظَر **وَهُمَا أَوْسَعُ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ**؛ فَإِنَّ جَارِحَتَيْهِمَا لَا يَمَلَّانِ وَلَا يَسْأَمَانِ بِخَلَافِ شَهْوَةِ البَطْنِ فَإِنَّهُ إِذَا امْتَلَأَ لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِرَادَةٌ لِلْطَّعَام وَأَمَّا العَيْنُ وَاللِّسَانُ فَلَوْ تُرِكَا لَمْ يَفْتَرَا مِنَ النَّظَرِ وَالكَلَام فَجِنَايَتُهُمَا مُتَّسِعَةُ الأَطْرَافِ كَثِيرَةُ الشُّعَبِ عَظِيمَةُ الآفَاتِ، وَكَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُونَ مِنْ فُضُولِ النَّظَرِ كَمَا يُحَذِّرُونَ مِنْ فُضُولِ الكَلَامِ وَكَانُوا يَقُولُونَ: مَا شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ السِجْنِ مِنَ اللِّسَانِ» «بَدَائِعُ الفَوَائِد» (٢/ ٤٩٨).

وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ النَّجَاةِ وَالعِصْمَةِ مِنَ الوُقُوعِ فِي حَبَائِلِ الشَّيْطَانِ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَتَحْقِيقُ العُبُودِيَّةِ لَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا إِبْلِيس: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [سُورَةُ الحِجْر].

«فَلَمْ يَجْعَلْ لِعَدُوِّهِ سُلْطَانًا عَلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُمْ فِي حِرْزِهِ وَكَلَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ وَتَحْتَ كَنَفِهِ» «الوَابِل الصَّيِّب» (ص١١).

٧. لِأَنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [سُورَةُ العَنْكَبُوت :٣٥]، قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ الرَّزَّاق بْن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله: «وَوَجْهُ كَوْنِ الصَّلَاة تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاء وَالمُنْكَر: أَنَّ العَبْدَ المُقِيم لَهَا، المُتَمِّم لِأَرْكَانِهَا وَشُرُوطِهَا وَخُشُوعِهَا، يَسْتَنِيرُ قَلْبُهُ، وَيَتَطَهَّرُ فُؤَادُهُ، وَيَزْدَادُ إِيمَانُهُ، وَتَقْوَى رَغْبَتُهُ فِي الخَيْرِ، وَتَقِلُّ أَوْ تَنْعَدِمُ رَغْبَتُهُ فِي الشَّرِّ، فَبِالضَّرُورَةِ مُدَاوَمَتُهَا وَالمُحَافَظَةُ

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ مُؤَدِّيًا حُقُوقَ العِبَادِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللهُ عَلَيْكَ وَأَعْظَمهَا حَقّ الأَبَوَيْنِ فَإِنَّهُ حَقٌّ عَظِيمٌ، وَوَاجِبٌ جَسِيمٌ[8].

◂ وَعَلَيْكَ -**أَيُّهَا الشَّابُ**- أَنْ تَكُونَ قَرِيبًا مِنْ أَهْلِ العِلْم وَأَكَابِرِ أَهْلِ الفَضْلِ؛ تَسْتَمِعُ إِلَى أَقْوَالِهِمْ، وَتَسْتَرْشِدُ بِفَتَاوَاهُمْ، وَتَنْتَفِعُ بِعُلُومِهِمْ، وَتَسْتَشِيرُهُمْ فِيمَا أَهَمَّكَ[9].

عَلَيْهَا عَلَى هَذَا الوَجْهِ تَنْهَى عَنْ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، فَمَا أَعْظَمَ شَأْنَ هَذِهِ الصَّلَاة لَوْ أَقْمَنَاهَا كَمَا يَنْبَغِي» «تَعْظِيمُ الصَّلَاة» (ص١١٠).

٨. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [سُورَةُ النِّسَاء :٣٦]، قَالَ العَلَّامَةُ السَّعْدِي ﵀: «أَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ بِالقَوْلِ الكَرِيم وَالخِطَابِ اللَّطِيف وَالفِعْلِ الجَمِيل بِطَاعَةِ أَمْرِهِمَا وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِمَا وَالإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِكْرَامِ مَنْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِهِمَا وَصِلَةِ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا بِهِمَا» «تَيْسِير الكَرِيم الرَّحْمَن» (ص١٧٧).

وَلْيَحْذَر الشَّابُ كُلَّ الحَذَر مِنْ عُقُوقِ الوَالِدَيْنِ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ وَخِيمَةٌ وَهِيَ مُعَجَّلَةٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَة؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَابَان مُعَجَّلَان عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا: البَغْيُ وَ العُقُوق**» رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (٧٣٥٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٥١٢١).

٩. لَقَدْ أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ البَرَكَةَ مَعَ الأَكَابِر، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ» (٥٥٩)، وَالحَاكِم فِي «مُسْتَدْرَكِهِ» (٢١٠)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامِع» (٢٨٨٤).

قَالَ شَيْخُنَا عَبْد الرَّزَّاق بَن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله: «أَنْ نَتَأَمَّلَ الحَالَةَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا سَلَفُنَا الصَّالِح؛ مِنْ أَدَبٍ مَعَ الكِبَار، وَاحْتِرَام لَهُمْ، وَتَوْقِيرٍ وَتَقْدِيرٍ، وَقِيَام بِحُقُوقِهِمْ، فَتَرْعَى ذَلِكَ الأَمْرَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا الصَّالِح، فَإِذَا طَالَعْتَ كُتَبَ السِّيَر؛ سِيَرَ الصَّحَابَة وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ تَجِدُ أَخْبَارًا عَذْبَةً وَسِيرَةً عَطِرَةً كَانُوا يَعِيشُونَهَا، وَتَجِدُ أَنَّ شَبَابَ الصَّحَابَةِ وَشَبَابَ التَّابِعِينَ فِي غَايَةِ الأَدَبِ، وَفِي غَايَةِ الاحْتِرَامِ لِلْكِبَارِ، فَتَتَعَلَّم مِنْ خِلَالِ تِلْكَ السِّيَرِ الأَدَبَ الكَرِيم،